الصورة في شعر بشار بن برد (91هـ/ 168هـ)

يعد (بشار) مرحلة من مراحل التطور الطبيعي للقصيدة القديمة إذ على يده شهدت الصورة الشعرية تحولاً نوعياً سواءً في مفهومها أو في مثيرها ولم تعد عملية نقل لمحسوس يشاغب النظر دون أن يتصل بالقيمة النفسية للأشياء بل أصبحت (الصورة) أداة الخيال الفاعلة ومضماره الرحب الذي يمارس فيه نشاطه وبه يختبر قدراته وذلك حينما شغل به (بشار) عوضاً عن النظر ليزداد خياله توهجاً فكان أن تحررت الصورة من قبضة المحاكاة وسطوة المثال لتجوب عوالم الخيال ..

لعمري لقد هذّبت قولي ولم أدع
مقالاً لمغتاب ودعوى لمن لحا
ومن كان ذا فهم بليد وعقله
به علة عاب الكلام المنقحا..(1)

إن باعث (بشار) للتجديد هو عماه، الذي أوحى له بمعان وصور مبتكرة، أحدثت تحولاً واضحاً في القصيدة القديمة؛ فغالباً ما كان بشار في غزله يلجأ إلى تقديم صور سمعية حظيت بالانتشار ونالت استحسان المجتمع :-

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة — والأذن تعشق قبل العين أحيانا
قالوا : بمن لا ترى تهذي فقلت لهم — الأذن كالعين تؤتي القلب ما كانا

البيتان من الجمال والطرف؛ ما جعلهما حديث إشادة النقاد لعصور متأخرة ومنهم (عبدالله بن المعتز) الذي وقف ممتدحاً البيت الأول لما فيه من ".. معنى بديع لم يسبق إليه أحد" (2)، وعلى مثال ذلك توالت صور بشار السمعية المبتكرة التي لو لا (آفة العمى) ما كانت لتظهر، وتحتل مكانة متميزة في تراثنا الشعري.. إن عمى بشار دفعه إلى شحذ خياله، والكد في تأليف صوره؛ وهنا نرى كيف أن اقتران عماه بشاعريته، قد أثمر صوراً سمعية جديدة لم تعرف من قبل :

فقلت دعوا قلبي وما اختار وارتضى — فبالقلب لا بالعين يبصر ذو اللب
وما تبصر العينان في موضع الهوى — ولا تسمع الأذنان إلا من القلب

إن أثر وتأثير آفته واضح بجلاء في صياغة البيتين السابقين، أكان من حيث المعنى أو الصورة. فبشار الأعمى يقدم البصيرة على البصر، ويحل الأذن محل العين.. وغالبا ما كان بشار يؤكد تلك المعاني ويكررها في معظم غزلياته، حيث يجعل البصيرة أو الحس والشعور طريقاً إلى الحب وليس العين، فربما تخدع العين بزيف الظاهر المرئي، لكن القلب صادق لا يخدع صاحبه :

قالت عقيل بن كعب إذ تعلقها — قلبي فأضحى به من حبها أثر
أنى ولم ترها تصبو، فقلت لهم — إن الفؤاد يرى ما لا يرى البصر

بيتان فيهما من جمال الصوغ، وجدة المعنى، وروعة التصوير ما فيهما، وبهما أصاب بشار كبد الحقيقة، حينما جعل القلب مصدر الحب، والمشاعر الصادقة التي لا يمكن أن تراها العين مهما حاولت.

على الرغم من نقد المجتمع لبشار، وهجومهم المتواصل عليه، إلا أن بشاراً استطاع انتزاع إعجاب مجتمعه، بما قدمه من جديد المعنى وطريف الصورة، فإذا بالصورة تنطق بمعاناته كشاعر أعمى، وتجسد وسائل تواصله الاجتماعي والعاطفي مع محيطه، فكانت صورة السمعية هي إحدى تلك الوسائل :-

لقد عشقت أذني كلاماً — رخيماً وقلبي للمليحة أعشق
وكيف تناسي من كأن حديثه — بأذني وإن غيبت قرط معلق

العمى والخيال (3-3)

برهان أحمد إبراهيم

غير أن أمر اقتران عماه بجديده الشعري، لم يقف عند جانب الصور السمعية، بل جاد – أيضاً – بصور ليلية جميلة، احتوت الكثير من معاني وصور متاعبه النفسية الناشئة عن فقدانه نعمة البصر.. ودون شك أن بشاراً لم يكن الشاعر الأول أو الأخير، الذي مثل له الليل كل معاني الحزن والهم، وشعور الغربة والوحدة، فتراثنا الشعري حافل بالشعراء الذين صالوا وجالوا في هذا الميدان، وجادت قرائحهم بأبيات من وحي لياليهم، إلا أن ليل بشار ليس كليلهم، وعلة شكواه غير علتهم؛ فليله لم يكن ليل عاشق ملتاع يشكو بين أحبته، إنما هو ليل دائم لا يعقبه صباح؛ ليل أبدي؛ ابتلع في جوفه نور عيني بشار، وصادر حقهما في إدراك سحر الألوان ودلالاتها، ولم يبق منها غير لونه الحالك السواد، الذي حال دون رؤية ضوء الشمس. لذلك كانت صور بشار الليلية أكثر عمقاً وأجمل صياغة، لكونها جسدت ليله الدائم الذي لا ينتهي ولا يتزحزح :

خليلي ما بال الدجى لا تزحزح — وما بال ضوء الصبح لا يتوضح
أضل الصباح المستنير سبيله — أم الدهر ليل كله ليس يبرح
كأن الدجى زادت وما زادت الدجى — ولكن أطال الليل هم مبرح

بفضل عماه – إن كان للعمى من فضل – تصدر بشار قائمة الشعراء في مجال وصف الليل، فصوره الليلية كانت محل استحسان الآخرين، ولم لا؟!.

وهو من كان لليل رفيقاً ملازماً ولم ير سواه مذ عرف الحياة.. فالليل جزء أصيل منه، بل هو قدره، لذا أدرك بشار محكم سره، وكشف جوهر أمره، وبرع في تجسيد أثره :

تثاقل ليلي فما أبرح — ونام الصباح فما أصبح

وقف معاصروه بإعجاب أمام صوره الليلية، لما فيها من ابتكار المعنى وجمال الصورة وربما استهوتهم تلك الصور والمعاني، فألحوا على ذكرها في أكثر من كتاب دون سائر أبيات القصيدة، كقوله :

أقول وليلتي تزداد طولاً — أما لليل بعدهم نهار
جفت عيني عن التغميض حتى — كأن جفونها عنها قصار

إن جمال صوره الليلية وحسن تقديمه لها يدفعنا إلى الاعتراف بشاعريته وعلوها، وبخاصة تلك التي قالها بفعل تداعيات طبيعته، والضغوط النفسية والجسدية التي فرضتها عليه آفة العمى، فجسدت تلك الأبيات كل أشكال معاناته من ذلك الظلام، الذي تجذر في عينيه ولم يتزحزح.. فصوره دلت على ثراء وفاعلية خياله، الذي مكنه من إبداع أبيات ذاعت بفعل معان وصور نسجت من طبيعته كشاعر مكفوف، تدخل عماه وبقوة في خلقها من خلال استنفاره واستفزازه لطاقة بشار التخيلية؛ فكان خياله المستنفر المستفز هو من ميزه عن سائر شعراء عصره، وهو أيضاً من أتاح له ".. الانتقال بالصورة الشعرية إلى مرحلة فيها جدة فنية ورقة موضوعية.." (3)، لذلك، فلا غرابة إن هو تفوق في مجال الصورة، آتياً بألوان طريفة من الصور الشعرية التي لا تصدر إلا عن شاعر أصيل؛ ولعل هذا ما يفسر لنا – مثلاً – شغف بشار بالتشخيص، وهو في هذا الجانب يكون قد انتقل بالصورة من مجرد إطار تجمع فيه جزئيات المنظور المحسوس دون ارتباط بأية قيمة نفسية أو علاقة عاطفية إلى طور أعلى وأرقى، فيه تمنح الحياة للمدركات المحسوسة لتكتسب قيمة نفسية وعاطفية تمكنها من إقامة علاقة تأثيرية مع ذات الشاعر، تتسم بالحيوية والتفاعل لا علاقة ظاهرية غرضها النقل والمحاكاة؛ لذا غالباً ما يعمد بشار إلى خلق تلك العلاقة من خلال إكساب صوره صفات إنسانية لتجسيد أفكاره ومعانيه، وكأنه – أي بشار – يسعى إلى (أنسنة) كل شي :

طال الثواء على تنظر حاجة — شمطت لديك فمن لها بخضاب

نجد بشار قد استعار للتعبير عن حاجته الواقفة دهراً عند باب الممدوح بالمرأة العجوز الشمطاء، التي تقادم عليها الزمن حتى ملها، فإذا بها في حاجة إلى خضاب تستر به شيبها الواضح..

ومن صوره التشخيصية المتصفة بالطرافة قوله :

أحلت به أم المنايا بناتها — بأسيافنا إنا ردى من نحاربه

إذ جعل الشاعر من الموت شخصاً (أم المنايا)، كما جعل للموت بنات (بناتها) هي الميتات المختلفة المتشعبة.

أو في قوله :

ثم قالت نلقاك بعد ليال — والليالي يبلين كل جديد
عندها الصبر عن لقائي وعندي — زفرات يأكلن قلب الجليد

في البيت السابق نراه يخلع على الليالي والزفرات صفات إنسانية، حيث أعطاها قدرة على ان تبلي وتأكل.. ودون شك أن براعة بشار في التشخيص إنما مرجعها عماه الذي دفعه إلى تفعيل خياله – كما أسلفنا – والكد فيه، وصولاً إلى صور شعرية مبتكرة، تفوق بها على شعراء عصره، وربما قبل وبعد عصره، أقر بذلك معاصروه والمتأخرون ومنهم (عبد القاهر الجرجاني) حيث امتدح براعة بشار وقدرته في هذا الجانب، بل وقدمه على سائر الشعراء في موازنته بين بيت (بشار) :

وكأن مثار النقع فوق رؤوسنا — وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

وبين بيتين أولهما لشاعر متقدم هو (عمرو بن كلثوم) :

تبنى سنابكها من فوق أرؤسهم — سقفاً كواكبه البيض المباتير

والثاني لشاعر متأخر هو (المتنبي) :

يزور الأعادي في سماء عجاجة — أسنته في جانبيها الكواكب

يقول (الجرجاني) :

" التفصيل في الأبيات الثلاثة كأنه شيء واحد، لأن كل واحد منهم يشبه لمعان السيوف في الغبار بالكواكب في الليل، إلا أنك تجد لبيت بشار من الفضل ومن كرم الموقع، ولطف التأثير في النفس ما لا يقل مقداره، ولا يمكن إنكاره، وذلك لأنه راعى ما لم يراعه غيره، وهو أن جعل الكواكب تهاوى فأتم التشبيه، وعبر عن هيئة السيوف وقد سلت من الأغماد وهي تعلو وترسب، وتجيء وتذهب، ولم يقتصر على أن يريك لمعانها في أثناء العجاجة، كما فعل الآخران، وكان لهذه الزيادة التي زادها حظ من الدقة التي تجعلها في حكم تفصيل بعد تفصيل."

(التفصيل) سمة غالبة على صوره، فإذا به متفوق في تأليف الصورة الشعرية، التي هي بنت خياله الشرعية، لا بنت النظر والمحاكاة، فاستحق الإعجاب، ونال التقدير، حينما سأل : ".. من أين لك هذا ولم تر الدنيا قط ولا شيئا فيها.. " أجل إن بشاراً قد (.. أتم التشبيه..) فملك صهوة الخيال، ليجوب عالم التصور والصور، بكد وولع بالتفصيل، ناشداً الإفصاح عن مكنون خياله، كيما يمارس وظيفة تأليف صور لم يرها رؤية عين، إنما رآها توهما، ليعيد صياغة محسوس لم يبصره قط، فكان أن توهج خياله وتألق في ظلام عينيه، ليجود بصور شعرية رائعة، ربما تطرف في بعضها وربما سقط، غير أن ذلك لا ينفي مكانته كشاعر أصيل أحدث تحولا نوعياً، في جانب الصورة الشعرية، فأدهش من حوله إعجابا ليقال عنه :

" وهذا أعمى أكمه، ولم ير هذا بعينه قط، فشبه حدساً فأحسن وأجمل "..

المصادر والمراجع :

1. ديوان بشار بن برد : شرح : حسين حموي، دار الجيل، بيروت، 1996م، ص 504..
2. عبدالله بن المعتز : طبقات الشعراء، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، القاهرة، الطبعة (4)، 1981م، ص 29..
3. مصطفى الشكعة : الشعر والشعراء في العصر العباسي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة (3)، 1979م، ص 23..

له الأسماء الحسنى

شهاب غانم / دبي

الأول الآخر الرحمن و الأحد
لا قبله أزل أو بعده أبد
البارئ المتعالي لا شريك له
وماله والد في الكون أو ولد
الرافع الخافض المحيي المميت وما
لك الملك والقدوس والصمد
هو الذي قال "كن" فالكون كان بها
والكائنات ومن كانوا ومن وجدوا
أسماؤه مئة حسنى وقد نقصت
وترا ، هو الوتر فهو الواحد الأحد
الواجد الماجد الباقي البديع فقل
طوبى لمن ركعوا لله أو سجدوا
الباسط القابض الرزاق أنعمه
ملء الدنى مالها حصر ولا عدد
تلك السماوات في يمناه قد طويت
يوم القيامة سبع مالها عمد
هو المعز لنا وهو المذل لنا
والمسلمون أعزاء إذا اتحدوا
العالم النافع الهادي المغيث فلا
إله إلا هو المُتَكَبِّرُ الأحد
الظاهر الباطن المغني المصور قل
من أمره الروح، من تصويره الجسد
المقسط العدل والحق الخبير بنا
وذو الجلال وذو الإكرام والأبد
هو السميع البصير الضارّ من ظلموا
وهو الحكيم الحليم الحي والعضد
والقادر المانع القيّوم يعلم ما
في الكون من ذرة تدنو وتبتعد
والباعث الحكم الجبار نعبده
والجامع الواسع الوالي لمن عبدوا
والخالق الوارث الوهاب في يده
يوم الحساب فطوبى للأولى اجتهدوا
هو الرحيم الرؤوف البر رحمته
ملء الوجود لمن نعمائه حمدوا
وهو اللطيف الودود الرب جل ..علا
فهو الجليل العلي الصادق الصمد
وهو الحسيب الحفيظ الله خالقنا
وهو العزيز العظيم الدائم الأبد
وهو الغفور هو الغفار وهو لمن
تابوا العفو المجيب المؤمن السند
هو المقدم أمرا والمؤخر ما
أراد، ما شاء في الأمرين يعتمد
ذو القوة الملك القهار قدرته
فوق الوجود ، هو النور الذي نرد
وهو المقيت هو المبدي المعيد هو ال
رب المتين القوي الفاطر العضد
هو الرشيد المجيد المجد كاملة
وهو الشهيد الشكور البار من شهدوا
هو الكبير القديم التام ، ليس له شبه ،
ولا مثله شيء ، هو الأحد
هو القريب هو المحصي الرقيب هو ال
مهيمن القائم البرهان والأبد
وليس مقتدر إلاه منتقم
إلاه ، وهو الصبور الحافظ المدد
هو الوكيل هو الكافي الغني هو ال
حميد وهو العليم العالم الصمد
هو الكريم هو التواب نحمده
وإنه في شغاف القلب معتقد
وهو الولي هو الفتاح منشؤنا
وهو السلام الجميل الواحد الأحد

ثروة عربية وإسلامية

عالم المخطوطات النادرة في معرض بالرباط

معرض 'ذخائر المخطوطات' بالرباط فردوس ساحر يعبق بأريج تاريخ عربي وإسلامي مجيد

الرباط / وكالات:

يشكل معرض "ذخائر المخطوطات المغربية" المقام حاليا برواق باب الرواح بالرباط محطة تراثية لاستحضار تاريخ عريق من نفائس علمية ومعرفية ما تزال تحكي قيمة التراث العربي الإسلامي الجميل في الحضارة الإنسانية.

ويقدم المعرض الذي افتتحه الأربعاء الماضي 17 / 1 / 2007 م عدد من الوزراء، مجموعة كبيرة من المخطوطات النادرة تم استقدامها من رفوف العديد من الخزانات المغربية الرفيعة، فكان فردوسا ساحرا يعبق بأريج تاريخ عربي وإسلامي مجيد.

كما يقترح المعرض، الذي يعد الأول من نوعه في المملكة، على الجمهور استكشاف أكثر من 60 مخطوطا نادرا اعتبره الكثير من الباحثين ثروة عربية وإسلامية لا تقدر بثمن.

وقال محافظ الخزانة الملكية أحمد شوقي "إن المعرض جاء ليبرز للجمهور والمهتمين القيمة التاريخية والحضارية التي يشكلها المخطوط النادر في المملكة".

وأضاف شوقي أن الخزانات المشاركة في المعرض الذي يقام برعاية العاهل المغربي الملك محمد السادس تتوفر على ثروة تراثية هي جزء من الثقافة والهوية العربيتين والتي تشكل لدى المغاربة أحد روافد الخلق والإبداع.

وأكد أنه لم تكن مصادفة أن تضم تلك الخزانات كثيرا من النوادر والفرائد التي جعلت المملكة قبلة للأكاديميين بحثا عن تلك المخطوطات النادرة أو التي تعتبر في حيز المفقود، والتي لم يتمكنوا من العثور عليها في الأصقاع الإسلامية الأخرى.

وقال شوقي "إن المخطوطات التي يعرض بعضها زخرت بها خزائن الملوك والجوامع والزوايا قديما والتي لا تزال تزخر بها إلى اليوم العديد من المؤسسات المكتبية على الرغم مما تعرضت له من إبادة وإحراق وسرقة، تبقى دليلا على اندماج المغاربة في الحضارة العربية الإسلامية منذ القرون الهجرية الأولى".

وأكد أن هذه المخطوطات المعروضة حتى الـ31 من الشهر الجاري تضم أصنافا كثيرة من الخطوط والمؤلفات الراقية التي تعبر عن حب المغاربة للكتاب وشغفهم بشكله ومحتواه وهيامهم بجماله وصوره وزخرفته.

وأوضح محافظ الخزانة الملكية أن البحث في المملكة قديما لم يكن فقط عن المخطوطات العربية، بل تجاوزه إلى البحث عن الكتب الأجنبية اليونانية واللاتينية.

وذكّر محافظ الخزانة الملكية المغربية بالعديد من المستشرقين الذين زاروا خزانات المملكة بحثا عن مخطوطات ضائعة من بينهم المستشرق ليفي بروفنسال الذي جاء إلى المغرب بحثا عن كتاب "عشريات المؤرخ الروماني هيروشيوس" الذي استفاد منه المؤرخ الكبير عبد الرحمن بن خلدون في تاريخ العبر إبان العصر الوسيط.

وأشار إلى أن المملكة ظلت موطنا للمخطوطات النفيسة كما حصل للنسخة الوحيدة في العالم من كتاب "البرصان والعميان والحولان والعرجان" للجاحظ الذي عثر عليها في مسجد ضاحية مدينة ابزو (300 كلم شرق الرباط).

وقال بخصوص جمال الخط والزخارف والمنمنمات التي تتخلل هذه المخطوطات المعروضة "إن تلك الإبداعات تزيد من قيمة هذه النفائس التي ترحل بالناظر فيها والمتأمل في طابعها الجمالي إلى الماضي ليعايش الناسخين المزخرفين المهرة ويعانق الملوك والعلماء الذين نسخت وزخرفت هذه النوادر برسم خزائنهم".

كما نوه شوقي بالمناسبة بما تضمنته المخطوطات المشرقية الحاضرة في المعرض من قيم جمالية وإبداعات فنية زخرفية استوحاها المشارقة من حضارات عدة شعوب كالرومان والفرس.

وأكد أن الفنانين المغاربة من خلال هذه المخطوطات أضافوا إلى الإبداعات المشرقية وجمالها عصارة المزيج الفني بين الحضارتين الأندلسية والمغربية والرونق الذي تجلى في روائع الخط المغربي الذي كان له القسط الأكبر في هذه الجمالية والزخرفة التي تضمها المعروضات.

كما أشار محافظ الخزانة الملكية إلى أن ما يتميز به المغاربة في مجال الخط من خلال نماذجهم المعروضة هو الحفاظ على النمط الكوفي الشرقي مع طبعه بطوابع خاصة جعلته أشكالا مختلفة لا عهد للمشارقة بها.

وقال "إن عناية المغاربة بالخط التي تجلت في إنشاء المدارس وتعليمه بالمساجد، قد مكنتهم من خلق أساليب فنية شخصية في الكتابة ما انبثق عنه إثراء للخط العربي وغنى في فنيته وزخرفته وجماله".

واعتبر أن المعرض يقدم للجمهور فيضا من المكنونات الفنية الراقية تمكنه من استكشاف الخصوبة التشكيلية لفن الزخرفة والتهذيب الذي خضعت له المخطوطات التي تزين خزائن القصور والعلماء والمدارس العتيقة التي يرجع لها الفضل في صيانة هذا التراث الجميل.

واستذكر بالمناسبة العديد من الخزانات المغربية التي صانت تلك المخطوطات ومن بينها خزانة القرويين التي تعد من أعرق خزانات المغرب، والتي يعود بناؤها إلى القرن الثامن الهجري، وتضم أعرق المخطوطات ومنها ما كتبت على ورق الغزال.

من جهته قال وزير الثقافة محمد الاشعري في ورقة تقديمية عن المعرض "إن المخطوط في المملكة سمح بتقوية تبادله الدولي في المجال الثقافي فاغتنى بالمخطوطات الأندلسية والمشرقية وأغنى مكتبات العالم بذخائر متعددة المضامين والأشكال".

وأكد الاشعري أن المخطوط المغربي احتفظ حتى اليوم بقيمة آنية من خلال ما يقترحه من معارف ونصوص استثنائية في الفكر والأدب والفن وعلوم الدين واللغة والتصوف والطب والفلك والحساب والملاحة وغيرها.

وأضاف أن "المخطوطات المعروضة تشكل ذخيرة ومصدرا أساسيا من مصادر الهوية العربية الإسلامية ومرجعا ثريا من المرجعيات الحضارية الكونية أسهم في تلاحق الثقافات والحضارات وتمازجها".

وأوضح الأشعري أن مبدعي هذا "الإرث الثمين سمحوا لنا باستثماره كذاكرة مشتركة للإنسانية وكفن أصيل يشهد حتى اليوم على الجهد الخارق الذي بذله أجدادنا في ظروف صعبة لضمان انتقال المعرفة قبل أن يكتشف الإنسان الوسائل التقنية القادرة على تحقيق ذلك في شروط كمية ونوعية خارقة".

واستحضر الوزير المغربي قيمة التكنولوجيا الحديثة في مجال معالجة وترميم وتصوير المخطوط التي تسعف اليوم بوسائل إضافية لحماية هذا التراث والاستفادة منه بشكل أفضل.

وقال "إن معرضا من هذا النوع فضلا عن مضمونه المعرفي، يمكن من استعادة العلاقة الحسية بالمخطوط مع كل ما يعنيه ذلك من استحضار لروحانية الكتابة ورهبة الحرف الذي أقسم الخالق العظيم به في أكثر من سورة في كتابه الكريم".

أولاد حارتنا" لمحفوظ تصدر بطبعة مصرية

وكالات / متابعات:

أخيرا سيتمكن المصريون من الحصول على الطبعة المصرية لرواية "أولاد حارتنا" للروائي المصري نجيب محفوظ الحائز على جائزة نوبل للآداب لعام 1988 بعد منعها لأكثر من 38 عاماً.

فقد سمح مؤخرا بنشر رواية أولاد حارتنا بعد طول منع بناء على توصية من الأزهر الذي اعتبر أنها تتضمن مناقشة فلسفية للأديان والذات العليا.

قامت دار الشروق للنشر بطباعة هذه الرواية وطرحها منذ أسبوع تقريبا في السوق بعد أن استطاع صاحبها الناشر إبراهيم المعلم ورئيس اتحاد الكتاب المصريين محمد سلماوي الحصول على موافقة الأزهر على أن يقوم المفكران الإسلاميان احمد كمال أبو المجد ومحمد سليم العوا بكتابة مقدمة الرواية.

من جهته رأى الروائي المصري عزت قمحاوي أن السماح المتأخر بنشر رواية "أولاد حارتنا" التي قرأناها منذ زمن طويل من خلال طبعتها اللبنانية يدل على أن "المؤسسات المصرية لازالت تعيش في الماضي ولا ترى المستقبل". وطالب بان يتم إطلاق الحريات وفتح الفرصة أمام حرية الإبداع والفكر".

وكان نجيب محفوظ قد كتب رواية "أولاد حارتنا" عام 1959. وبعد بدء نشر الرواية مسلسلة في صحيفة الأهرام الحكومية ابتداء من 21 سبتمبر أيلول حتى 25 ديسمبر كانون الأول 1959 حث بعض رموز التيار الديني المحافظ على وقف النشر استنادا إلى تأويل الرواية تأويلا دينيا يتماس مع قصص بعض الأنبياء. إلا أن ذلك لم يتسبب في وقف النشر ولكنه تسبب في عدم طبعها في كتاب داخل مصر.

كما تمكن المصريون كذلك من مشاهدة فيلم "الرسالة" لمصطفى العقاد على شاشة التلفزيون المصري بعد منعه لنحو ثلاثين عاما، فقد عرضت القناة التلفزيون المصري الفيلم بمناسبة رأس السنة الهجرية. وكان هذا الفيلم ممنوعا من العرض في مصر بسبب ظهور شخصية عم الرسول حمزة فيه حيث يعترض الأزهر على ظهور آل البيت في الأعمال الدرامية.

وقد صور العقاد الفيلم عام 1981 بنسختين واحدة انكليزية قام فيها بدور حمزة الممثل الأميركي أنتوني كوين واليونانية ماريا باباس في دور هند بنت عتبة وأخرى عربية مع الفنان المصري عبد الله غيث والسورية منى واصف في الدورين.

وتعليقا على عرض الرسالة اعتبر كاتب السيناريو محمد على عرابي أنها بادرة ايجابية رغم أنها جاءت متأخرة حيث نشاهد فيلم الرسالة منذ سنوات على المحطات الفضائية العربية".

لكنه أمل أن يكون قيام التلفزيون المصري بعرضه مقدمة للسماح بكتابة دراما دينية لا تقف أمام الرقابة والتحريمات تطلق أمكانية إعادة قراءة الحياة الدينية دراميا".

قصة جدران الصمت

عفاف سالم يحيى

كانت لحظة مشؤومة تلك التي ضغط فيها على زناد مسدسه مصوباً إياه نحو الهدف المرسوم بدقة غير أن الهدف هذه المرة لم يكن كبقية أهدافه السابقة التي تمثلت في الصيد أو مناسبات الأفراح.

هذه المرة كان الهدف رأسه وبدقة وضع فوهة مسدسه بين حاجبيه وفي غفلة من الزمن ألقى نظراته الأخيرة على الأهل وذرف دمعات حرى جرت على خديه كانت ساخنة كسخونة القدر الموضوع على الجمر وما هي إلا ثوان معدودات حتى سمعت وهي تخترق هذا الجسد الطاهر، وما أن سمع صوت الرصاصة الملعونة حتى هب الجميع للبحث عن مصدرها فكانت الفاجعة حين وقع نظر العائلة المنكوبة على الجسد الملقى على الأرض والدماء تتدفق بغزارة لتروي الأرض العطشى.

انطلقت الصرخات مدوية لتعلن للجميع هول المأساة وفداحة المصاب في حين انكب الأب على ذلك الجسد الطاهر الرابض في مكانه دونما حراك في محاولة لإنقاذه ولكن قواه خارت فسقط مغشياً عليه..

كان الشاب في العشرين ربيعاً، أشقر الشعر مفتول العضلات وعينان عسليتان صرخ الأخ لنأخذه إلى المستشفى لابد أن يعيش فضربات قلبه المنهك مازالت تسمع وعلينا أن نسرع وهكذا وفي انتظار المعجزة استمرت السيارة تطير في الهواء علها تعطيه عمراً لكن هيهات حتى السيارة أنهكت وتعطلت في منتصف الطريق ليبدأ مشوار البحث مجدداً عن سيارة تقلهم إلى المستشفى وبدورها أثقلت كاهل الأسرة المنكوبة بالأسئلة كيف ، متى..؟

وأخيرا وصلت السيارة وبدأ مشوار البحث عن الطبيب، وما هي إلا دقائق حتى اكتسى ذلك الجسد بالبرودة وضعت الأخت يدها لتحسس نبض الحياة فيه لكن كل شيء انتهى.

كان الخبر المشؤوم قد هز أرجاء المدينة وفي الصباح الباكر توافدت جماعات الأصدقاء والجيران إلى المستشفى لزيارته لكن الروح كانت قد صعدت إلى بارئها.

خيم الحزن والذهول على المكان وبعد ساعة خرج الطبيب ليبلغهم أن الجثة قد حجزت حتى تدفع المصاريف للمستشفى حينها ثارت ثائرة الجميع وتفادياً للمشاكل وافقت إدارة المستشفى على تسليم الجثة.

كانت الدماء لا تزال طرية والجسد لا يزال رطباً وهناك في زاوية المسجد جلس الشيخ المنكوب يذرف الدمع مدراراً حتى بلل لحيته الكثة ولسان حاله يردد رحمك الله يا ولدي رحمك الله ثم ما يلبث أن يجهش بالبكاء فمنظر الرصاصة الملعونة التي كانت قد ذهبت بمؤخرة رأس ولده لم تبرح مخيلته حينها اقترب أحدهم منه وراح يربت على كتفيه مصبراً إياه.

وهكذا توافدت جموع المعزين من المصلين من كل حذب وصوب وبين ذراعي أمام المسجد ألقى جسده وبعينين متوسلتين وقلب مصدوع سأله أفي الجنة هو أم في النار..؟ إنه فلذة كبدي وأصغر ولدي حمل عني المسؤولية في الوقت الذي تنصل عنها إخوته.

وما لبث أن هم بالعودة إلى منزله وهو يتمتم إنه الفقر يا ولدي إنه الفقر الذي اقتلع زهرة شبابك وعجزت تماما عن انتشالك من براثنه.

وبموته فقدت الأسرة المنكوبة عائلها الصغير الذي أثقلته الديون وتكالبت عليه الهموم فعجلت بمصيره المحتوم خوفاً من المجهول.